

التأثير والتأثير عند ابن سلام الجمحي من خلال كتاب "طبقات فحول الشعراء"

Influence and influence of Ibn Salam Al Jumahi, through the Book of Poets

هاجر بلخيري^{*1}¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، belkhiri.hadjer@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2022/09/30

تاريخ المراجعة: 2022/07/03

تاريخ الإيداع: 2022/02/15

ملخص:

يعد كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي أول كتاب في النقد الأدبي القديم، الذي بناه صاحبه على فكرة "الطبقات"، وهي فكرة غريبة عن النقد العربي، وإنما نجدتها شائعة في علم الحديث، وأخذت هذه الفكرة منهجا منظما _ نوعا ما _ مع ابن سلام، فبناؤه للكتاب كان على نظام طبقي مغلق ومحدد إلا ما شدّ ونذر، والطبقة عنده تعني المنهج لأنه تناول فنا أدبيا واحدا وهو الشعر، لكنه يُحاول من خلال دراسته بيان منزلة الشعراء بالنظر إلى معايير متباينة بين شاعر وآخر، فلكل شاعر منهجا ومميزات جعلته إما يتفوق على شاعر آخر أو العكس.

فما غاية ابن سلام في اعتماده على هذه الفكرة؟ ومن أين استمدّها؟

الكلمات المفتاحية: ابن سلام، الطبقات، التأثير، التأثر، النقد الأدبي.

Abstract:

The book "Layers of Poets' Walk" by Ibn Salam Al-Jumhi is the first book in the ancient literary criticism, which his author built on the idea of "classes", which is a strange idea about Arab criticism, but it is found in modern science. This idea took an organized approach - in some way - with Ibn Salam. His construction of the book was on a closed and determined class system except that that was a prognostic, and the class in him means the curriculum because he dealt with one literary art, namely poetry, but in his study he attempts to show the status of poets by looking at criteria that are different from one poet to another. Each poet has a methodology and advantages that made him superiority over Another poet or vice versa.

Why would Ibn Salam rely on this idea? Where do I get it from?

Key words: A son of peace; Classes; Influence; Impairment; Literary criticism.

* المؤلف المراسل.

تقديم:

عدّ النقاد الأصمعي أوّل من ألف في التّقد الأدبي من خلال كتابه "فحولة الشعراء"، لكن كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام* كان أوّل كتاب نقدي مكتمل البناء في نظرهم، وهو كتاب جامع للآراء التي قيلت حول الشعراء الذين ذكرهم ابن سلام، ولم يضعه ابن سلام إلا لتأثره بالتحوّلات التي شهدها العصر الذي عاش فيه، فهو أوّل من اختص في النّقد بوضع كتاب مستقل بعد أن كان مجرد تحليل لعبارات وجمل مشتتة في أمهات الكتب، فقد كان ابن سلام السّباق إلى العديد من القضايا النّقدية التي عادت من جديد إلى السّاحة النّقدية في العصر الحديث كقضية الانتحال التي تناولها المستشرق مرجوليوث والمصري طه حسين.

وقد اتبع ابن سلام الجمعي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" منهج علمي دقيق يعتمد على فكرة الطبقات، وأوّل من اعتمد هذه الفكرة المحدثون وكان ذلك لعدّة أسباب دينية، ثمّ انتشر استعماله في باقي العلوم، ولا نتعجب إن تأثر ابن سلام بالمحدثين لأنّه كما ذكرنا في الإحالة كان ابن سلام من رواة الحديث حتّى وإن لم يؤخذ بروايته.

فأين يتجلى تأثر ابن سلام بالمحدثين؟ وهل نجد تأثر من نوع آخر؟ وإلى أيّ مدى استوعب النّقاد بعده

منهجه النّقدية؟

1_ مفهوم الطبقة:

قبل الحديث عن تأثر ابن سلام بسابقه أو تأثيره في اللاحقين علينا التّعرض لمفهوم الطبقة، ومعرفة نشأتها، فوجود لفظة "طبقة" في التّراث العربي قديم قدم اللّغة العربيّة، ولها عدّة معاني فهي عند ابن منظور تأخذ معنى التّسوية يقول: « وطبق كلّ شيء ما ساواه (...) وتطابق الشّيئان تساويا والمطابقة الموافقة¹ » ويعني بذلك أنّ محتوى الطبقة متساوي لا يمكن تفضيل أحدا عن الآخر، فالعناصر الموجود في الطبقة متشابهة فهي لا تفتتح على عناصر أخرى وتبقى مغلقة على نفسها.

كما جاءت الطبقة بمعنى المنزلة عند الجوهري يقول: « وطبقات النّاس في مراتبهم² »، فهو يشير إلى المكانة الاجتماعيّة التي يتفاوت فيها النّاس بحسب قدراتهم وممتلكاتهم، وهو ما ذهب إليه الزّمخشري في قوله: « والنّاس طبقات: منازل ودرجات بعضها أرفع من بعض³ ».

هذا فيما يخص مفهوم الطبقة، وفكرة الطبقات ظهرت قبل وضع ابن سلام كتابه وهذا يوحي بوجود تأثر بينه وبين من سبقه إلى ذلك، والواضح أنّ ابن سلام قد اعترف من عدّة علوم وهذا ما جعله يتأثر بتلك العلوم وهذا ما سنوضحه.

2_ تأثير ابن سلام بسابقه:

1_2 تأثير ابن سلام بالمحدثين:

إذا عدنا إلى البحث عن شخصية ابن سلام نجده من رواة الحديث حتى وإن رُفضت روايته للحديث، فقد تأثر بذلك ويبدو هذا واضحاً وجلياً في كتابه في عدة مواضع، وأول ما تأثر به ابن سلام لفظة "طبقات" التي كانت شائعة عند المحدثين، فهم أول من ألفوا في الطبقات وتعرضوا في كتبهم إلى منزلة رواة الحديث أهمها كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد الزهري الذي عاصر ابن سلام وهو كتاب يقدم السيرة النبوية وترجمة للصحابة والتابعين، والغرض من وضع هذه الطبقات « هو تصنيف جماعة من الناس اشتركوا في فن من الفنون، أو علم من العلوم »⁴، وطبقات ابن خياط وهذه الكتب سبقتها كتباً أخرى لم تصل إلينا كطبقات الواقدي الذي وضعه للصحابة والتابعين وقد أشار إليه ابن النديم⁵، والهيثم بن عدي صاحب كتاب "طبقات الفقهاء والمحدثين" وكتاب "طبقات من روى عن النبي ﷺ وأصحابه"⁶، فالمحدثون وضعوا كتب الطبقات لمعرفة الرواية الصحيحة وذلك بدراسة الأسانيد والتأكد والتحقق منها.

ولا نذهب بعيداً عن الرواية والإسناد إذ نجد تأثر آخر بين ابن سلام والمحدثين، فقد جعل ابن سلام من الرواية والتوثيق مدار دراسته وتصنيفه للشعراء، فلا يصح الأخذ عن غيرها، فالشعر الصحيح عنده هو المأخوذ من أفواه الرواة الموثوقين فقط قوله: « وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء. وليس لأحد _ إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه _ أن يقبل من صحيفة، ولا يُروى عن صُحُفٍ »⁷، وأول من سبق إلى الاعتماد على الرواية هم المحدثون وما يؤكد على أهميتها ما ذكرناه عن رفض رواية ابن سلام للحديث لأنه لا يوثق به، فالمحدثون هم من وضعوا منهج التدوين وجعلوا من الرواية أساس عملهم.

وتُحليلنا الرواية إلى عنصر آخر أثر في ابن سلام وجعله مقياساً في تصنيف الشعراء ألا وهو الإجماع، إذ يرى أنه لا يمكن الخروج عن رأي الجماعة فهو الرأي السائد في نظره يقول: « وقد اختلفت العلماء بعدد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه، فليس لأحدٍ أن يخرج منه »⁸، فابن سلام باعتباره راوي للحديث والأخبار جعل أسس الرواية تتحكم في وضعه للطبقات وتصنيفه للشعراء.

لا نخرج عن تأثير ابن سلام بالمحدثين فإن كان ما تأثر به سابقاً يعود إلى منهج التأليف وشروط التصنيف فما سنتعرض إليه الآن من تأثير يعود إلى المعايير والمقاييس التي بها صنف الشعراء، وأول تلك المقاييس الزمان فقد تأثر ابن سلام الجمحي بابن سعد في اعتماده على الزمان « والمقصود بالزمان عنده [أي عند ابن سعد] القدم في الإسلام (...) إذ ابتداء بالمهاجرين ثم بالأنصار البديين، ثم من دخل الإسلام قديماً ولكنه لم يشهد بدراً،

وإنما هاجر إلى الحبشة أو شهد أحدًا»⁹، فابن سعد وضع طبقات منفصلة بحيث يرد الصحابي أو التابعي مرة واحدة وهو ما ذهب إليه ابن سلام.

وننتقل بعد ذلك إلى مقياس المكان الذي نجده جليا عند ابن سعد حيث وضع الصحابة بحسب الأماكن التي استوطنوها « فابتدأ بمن في المدينة، فمكة، فالطائف، فاليمن، فاليمامة، وبعد أن ترجم لمدن الجزيرة، انتقل إلى العراق، فابتدأ بالترجمة لمن في الكوفة ثم البصرة، وبعد ذلك انتقل إلى الشام، فمصر»¹⁰، فالمكان كان عنصرا هاما وقد اعتمده ابن سلام في طبقاته لكن ليس بنفس الحدة.

2_2 تأثير ابن سلام باللغويين والنحويين:

كان للغويين والنحويين أثر كبير على ابن سلام في كتابه "طبقات فحول الشعراء"، خاصة وأن عصر التدوين بدأ معهم، إذ قام اللغويون باختلاف مدارسهم بجمع المادة اللغوية من أفواه الرواة خوفا على ضياعها بعد موت الكثير من الحفظة، فذهب « علماء اللغة يجوبون البوادي والحواضر لجمع ما تبقى من هذا التراث كي يصونوه من الضياع، وينقلوه من الصدور إلى السطور»¹¹، فمن علماء مدرسة البصرة نجد الأصمعي وابن سلام الجمحي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وخلف الأحمر، أما علماء مدرسة الكوفة فتمثلوا في ابن الأعرابي أبي عمر الشيباني، حماد الراوية، والمفضل الضبي.

فجمع هؤلاء اللغويين للشعر كان له غاية إلى جانب الحفاظ عليه، وهي البحث عن الشواهد الشعرية لإرساء قواعدهم اللغوية، فلم يجدوا غايتهم إلا في الشعر القديم، وهذا ما أكد عليه الجاحظ في قوله « ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب»¹²، فالنحويون كانوا ينتقدوا الشعراء عندما يلحنون وهذا ما يسعى بالنقد اللغوي.

وقد استند ابن سلام في تصنيفه للشعراء إلى كلام اللغويين والنحويين، وكتابه دالا على ذلك فهو ممتلئ بالشواهد اللغوية والنحوية حول شعر الشعراء، وهنا يظهر تأثيره بهم مثال ذلك قوله « أخبرني يونس بن حبيب: أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرؤ القيس بن حجر، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والتابعية»¹³ وغيرها من الأمثلة، فابن سلام اعتمد على آراء أساتذته في حكمه على الشعراء وتصنيفهم، فهؤلاء الشعراء الأربعة تم تقديمهم نظرا لتمييز شعرهم واحتوائه سمات تفرد بها كل شاعر عن الآخر، فاللغويون كانوا السباقين في وضع الطبقة الأولى لشعراء الجاهلية والطبقة الأولى لشعراء الإسلام، فتأثر ابن سلام بآراء النحويين كان واضحا وجليا حول الحجج التي قدموها في تقديمهم لشعراء الطبقة الأولى من الجاهلية والإسلام، إذ على أساسها كان تفضيله لشعراء الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وغيرها من الطبقات الأخرى، فلم نجد له آراء إلا في حالات شاذة فمعظم الحجج التي قدمها كانت مبنية على آراء اللغويين.

والحجج التي قدّمها اللّغويون كانت هي الأخرى مبنية على معايير وأسس، وهي الأخرى تأثر بها ناقدنا وأهم هذه المقاييس الزّمان والكثرة والجودة وتنوّع الأغراض.

وما نلاحظه من خلال اهتمام اللّغويين بالشّعراء الأربعة المتقدمين يستوقفنا في نقطة مهمة كانت صلب موضوع "طبقات فحول الشعراء" ألا وهي وضع أربعة شعراء في كلّ طبقة، فهذا يُحيلنا إلى وضع اللّغويين الشعراء الأربعة في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية - امرئ القيس والتّابغة وزهير والأعشى -، ووضعهم في الوقت نفسه الشعراء الثلاثة من الطبقة الأولى لشعراء الإسلام - الفرزدق وجريروالأخطل -.

وتحدث ابن سلام عن قضية الانتحال وإن كان هو السّباق لها في التّقد الأدبي، لم تكن مجرد صدفة وإنّما الشكّ في الشّعري القديم بدأ مع اللّغويين، إذ تعرض اللّغويون إلى هذه المشكلة عند جمعهم للشّعري العربي القديم، إذ أشاروا إلى وجود أشعار منحولة نسبت لغير قائليها، وأشعار قيلت على أفواه شعراء لم يقولوها، وهي نفس المشكلة التي عالجها المحدّثين قبل اللّغويين حول الأحاديث الموضوعية¹⁴، واتبع اللّغويون في معالجتهم لهذه المشكلة نفس الطّريقة التي عالج بها المحدّثون مشكلة وضع الأحاديث وهي التّدقيق في الرواية فجعلوا «أملى علينا» أرفع من "سمعت" و"سمعت" أعلى من "حدثني" و"حدثني" خير من "أخبرني" تمامًا كما فعل المحدّثون¹⁵، ولم يقف اللّغويون عند هذا الحدّ بل ذهبوا إلى ترتيب الأقوال المروية مثل المحدّثين، وتناولوا الرواة من حيث التّوثيق فمنهم رواة ثقات وآخرين غير ثقات، وضرب ابن سلام أمثلة على ذلك فذكر من الرواة الثّقات خلف الأحمر ومن الرواة غير الثّقات حمادة الزّاوية وابن إسحاق يقول: «وكان ممّن أفسد الشّعري وهجنه وحمل كلّ غناء منه، محمد بن إسحاق بن يسار (...) وكان من علماء النّاس بالسّير (...) وكان أكثر علمه بالمغازي والسّير وغير ذلك - فقبل النّاس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشّعري، أوتينا به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذرا. فكتب في السّير أشعار الرّجال الذين لم يقولوا شعرا قطّ، وأشعار النّساء فضلا عن الرّجال، ثمّ جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارا كثيرة، وليس بشعري، إنّما هو كلام مؤلف معقود بقواف»¹⁶، وقدم عدّة حجج تثبت صحة انتحاله للشّعري.

فكان في القرن الثّاني مدرستين أساسيتين في العلوم مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، وكان لكلّ مدرسة رواها كما سبق وذكرنا والأهم من ذلك أنّ مدرسة البصرة عرفت بتشدّد وتدقيقها في رواية الأشعار، في حين لم تشهد مدرسة الكوفة هذا التّشدّد والتّدقيق ممّا أدى إلى ظهور قضية انتحال الشّعري ووضعه.

كما قدّم ابن سلام أمثلة عن الأخطاء التي وقع فيها الشعراء وأثبتها النّحاة كوقوع التّابغة الذّبياني في خطأ نحوي في قوله¹⁷: [بحر الطّويل]

فَبِتْ كَاتِي سَاوَرْتِي ضَبِيلَةً مِنْ الرُّفْشِي فِي أُنْيَابِهَا السُّمُّ نَاعُ

فبدلاً من قوله نافعٌ موضعها نافعاً¹⁸.

كما تعرض ابن سلام في مقدمة كتابه "طبقات فحول الشعراء" إلى نشأة النحو العربي، فذكر أنّ أبا الأسود الدؤلي كان أول من أسس اللغة العربية « فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجرّ والجزم »¹⁹، وذكر أنّ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أول من شق طريق النحو ومدّ القياس والعلل²⁰، وفصل في الأمر تفصيلاً كثيراً.

وتجاوز ابن سلام حديثه عن النحو إلى العروض، وذكر أنّ واضع علم العروض هو الخليل بن أحمد الفراهيدي²¹، بل جعل من العروض مقياساً في تصنيفه للشعراء، وكان ذلك عندما تعرض للأعشى إذ قال: « هو أكثرهم عروضاً »²²، أي جاء شعره متنوعاً بالبحور والأوزان.

ومن جهة أخرى تطرق إلى عيوب القافية التي تخل بموسيقى الشعر وهذا نجده عند النابغة الذبياني فعيب عليه الإقواء في قوله²³: [بحر الكامل]

أَمِنْ آلِ مَيْةَ رَائِحٍ، أَوْ مُغْتَدٍ، عَجَلَانَ، ذَا زَادٍ، وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنْ رَحَلْتَنَا، غَدَاً، وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الْغُدَاةَ الْأَسْوَدُ

وذكر ابن سلام ذلك في قوله إذ يقول: « ولم يُقو من هذه الطبقة ولا من أشباههم إلا النابغة »²⁴.

وإذا تجاوزنا هذه الأمور نجد تأثيراً آخر يظهر جلياً في مقدمة كتاب ابن سلام وبالتحديد أثناء عرضه لمنهجه في الدراسة، وهي أهم قضية لا يزال صداها إلى يومنا هذا ألا وهي قضية الصراع بين القدماء والمحدثين، حيث أقرّ ابن سلام في مقدمة كتابه عدم حديثه عن الشعراء المحدثين، وأنّه تعرض لمشاهير شعراء الجاهلية والإسلام، وحسب قراءتنا للكتاب نجده في الجزء الثاني من الكتاب الخاص بطبقات الإسلاميين يقف عند شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي فقط دون الخوض في شعراء العصر العباسي، فابن سلام كان من المتعصبين للقديم بدليل أنّه تطرّق إلى شعراء العصر الجاهلي وصدر الإسلام والأموي ولم يتعرض لشعراء العصر العباسي، وذلك نتيجة لتأثره بالنحويين واللغويين، فهؤلاء تعصبوا للقديم ورفضوا كلّ ما هو جديد واتّبعهم في ذلك ابن سلام.

2_3 تأثير ابن سلام بالنقاد:

نلاحظ للوهلة الأولى من خلال عنوان كتاب ابن سلام "طبقات فحول الشعراء" تأثره بالأصمعي الذي سبقه في التّأليف النّقدي من خلال كتابه "فحولة الشعراء"، فاستخدم ابن سلام نفس العنوان فقط أضاف له

لفظة "طبقات"، وهذا التأثير لم يكن على مستوى العنوان فقط بل تعداه إلى متن الكتاب فأخذ ابن سلام مقياس الفحولة التي وظفه الأصمعي وجعله مقياساً مهماً على أساسه وضع طبقات الشعراء، فالأصمعي هو أول ناقد وظف مصطلح الفحولة، لكن مفهوم الفحولة عند ابن سلام يختلف عن المفهوم الذي قدمه الأصمعي، فالفحولة عند الأصمعي لها عدة خصائص يُجملها لنا ابن رشيقي في قول للأصمعي إذ يقول: « وقال الأصمعي: لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض؛ ليكون ميزاناً له على قوله؛ والنحو؛ ليصلح به لسانه وليقيم إعرابه؛ والنسب وأيام الناس؛ ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم »²⁵، فهذا الأخير وضع شروطاً حتى يكون الشاعر فحلاً، وفي تصنيفه للشعراء وضع طبقتين الأولى خصّها للشعراء الفحول والثانية للشعراء غير الفحول، في حين توسع ابن سلام في تقديم مقاييس الفحول بين السبق والإبداع والكثرة والجودة وغيرها من المقاييس.

وذهب ابن سلام في تأثيره بالأصمعي إلى أبعد من ذلك، إذ أنّ المقاييس التي وضعها الأصمعي لمعرفة الفحولة عند الشعراء نجدها عند ابن سلام في تصنيفه للشعراء إلى طبقات، من الكثرة والجودة والاختصاص وتعدد الأغراض والزمن، وتأثر ابن سلام بالأصمعي عندما وضع طبقات مختصة بغرض شعري واحد مثل طبقة الرّجاز وطبقة أصحاب المراثي، فقد سبق الأصمعي إلى ذلك عندما تحدث عن أصحاب الغرض الشعري الواحد مثل الرّجاز، ولا يقف عند هذا الحدّ فنقل عنه تصنيفه لشعراء القرى والقبائل، وحديثه عن البيئة التي نما فيها الشعر كان نابعا من حديث الأصمعي²⁶.

3_ تأثير ابن سلام في النقاد اللاحقين:

1_3 تأثير ابن سلام في ابن قتيبة:

تأثر ابن قتيبة بابن سلام في كتابه "الشعر والشعراء" لكن تأثيره به لم يكن بنسبة كبيرة، ويظهر هذا التأثير من خلال اهتمامه البالغ في دراسته بالمشهورين فاعتمد مقياس الشهرة مثل الأصمعي وابن سلام فيقول: « وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء، الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب، والذين يقع الاحتياج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عزّ وجل، وحديث رسول الله ﷺ »²⁷، وهذا يعني أنّه اعتمد على آراء اللّغويين مثل ابن سلام، إذ أخذ بآراء العلماء اللّغويين وغيرهم في تصنيفه للشعر والشعراء يقول: « هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، (...) وعمّا يُستحى من أخبار الرّجل ويُستجد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم ومعانيهم »²⁸، فقد وقف ابن قتيبة على الأخطاء التي تعرض لها اللّغويون كوقوفه على عيوب القافية²⁹.

كما نجد ابن قتيبة يتبع ابن سلام في حديثه عن بنية القصيدة ويُقر بقالبها الذي وُضعت فيه فهي عنده ثلاثة أقسام: مقدمة طللية، وصف الرحلة، الغرض الأساسي³⁰، ويرى أنه لا يجب الخروج عليها إذ يقول: « وليس لتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام »³¹، فهذا يوضح أن بنية القصيدة العربية تقوم على النموذج الجاهلي حتى وإن أصاب القصيدة العربية تغييرا مع مرور الزمن.

نجد ابن قتيبة اعتمد معايير سبقه إليها ابن سلام لكنه لم يصرح بها مثل ابن سلام، فقد اعتمد معيار الجودة في معظم دراسته للشعر والشعراء وجعله أساس هذه الدراسة، فيقول عن الأعشى: « الأعشى هو رابع الشعراء المتقدمين، وهو يقدم على طرفة، لأنه أكثر عدد طوال جياذ، وأوصف للخمر والحمر، وأمدح وأهجى »³²، لكن الجودة عند ابن قتيبة أهم من الكم.

أما مقياس الزمن فنجد في القسم الثاني من كتابه وذلك عندما رتب الشعراء، إذ بدأ حديثه عن الشعراء الجاهلية ثم الإسلام أما المخضرمون فجعلهم في أماكن مبعثرة³³.

وجعل ابن قتيبة من الغرض الشعري معيارًا في تصنيفه للشعراء، فيضع شعراء مشهورين في غرض معين في نفس الطبقة مثل شعر الهجاء وضع فيه كلا من « جرير والفرزدق وبشار وابن ميادة وزياد الأعجم والبعيث واللعين المنقري وآخرين »³⁴ ووضع شعراء الرجز في طبقة واحدة³⁵، ونفس الشيء كان مع شعراء اللها والمجون³⁶ وغيرها من الأغراض، فهو يضع الشعراء الذين يتشاركون في فن من فنون الشعر في منزلة واحدة ويرتبهم الواحد تلو الآخر، فهو متأثر بمقياس الموضوع الشعري.

وقد أشار ابن قتيبة إلى الفرق بين أهل البادية وأهل الحضرة، وقد سبقه إلى ذلك ابن سلام يقول ابن قتيبة عن عدي بن زيد العبادي « والعرب لا تروي شعره، لأن أفاظه ليست بنجدية »³⁷، ويقول أيضا: « والعرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد (وذلك) لأن أفاظهما ليست بنجدية »³⁸، فشعر كل من أبي دؤاد وعدي بن زيد غريبا عن شعر البادية يشوبه اللحن بعد معاشرتهم لأهل الحضرة، وبالتالي يشير ابن قتيبة إلى اختلاف البيئة ومدى تأثيرها على الشاعر.

وقد تعرض ابن قتيبة على غرار ابن سلام في مقدمة كتابه إلى قضايا نقدية سبقه إليها غيره من النقاد كقضية الطبع والصنعة وقضية السرقات الشعرية وعيوب الشعر وبنية القصيدة وغيرها من القضايا.

2_3 تأثير ابن سلام في أبي زيد القرشي*

تناول القرشي في مقدمة كتابه "جمهرة أشعار العرب" بداية الشعر العربي وفق ما تطرق إليه القدامى، وهو في ذلك يُجاري ابن سلام.

وقد قصر القرشي دراسته على الشعر القديم متبعاً في ذلك ابن سلام فيقول: « هذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام الذين نزل القرآن بألسنتهم، واشتقت العربية من ألفاظهم، واتخذت الشواهد في معاني الحديث من أشعارهم، (...) وبعد فهم فحول الشعر الذين خاضوا بحره، وبعد فيه شأوهم، واتخذوا له ديواناً كثرت فيه الفوائد عنهم، ولولا أنّ الكلام مشترك لكانوا قد حازوه دون غيرهم، فأخذنا من أشعارهم [..] إذ كانوا هم الأصل _ غرراً هي العيون من أشعارهم [، وزمام ديوانهم ³⁹]، فهو يرى أنّ الشعر القديم هو الأصل والشعر الذي بعده هو الفرع لأنّ شعراءه أخذوا من الشعر القديم ألفاظه ومعانيه وصوره وغيرها من الأمور، ونجده هو الآخر يقرّ بالفحولة فلم يضع في طبقاته إلا فحول الشعراء.

ويتعرض القرشي في تصنيفه للشعراء إلى البيئة ومدى تأثيرها على الشاعر، فلكلّ بيئة خصائصها فالبادية في نظره تختلف عن المدينة، لأنّ لغة أهل البادية تميّز بالصفاء ولا يشوبها اللحن مثل لغة أهل الحضر يقول: « كان أبو عبيدة يعدّ أشهر أهل الوبر خاصة امرؤ القيس وزهير والنابغة ⁴⁰ »، لهذا جعل القرشي من البيئة مقياساً في تصنيف الشعراء في طبقات مقدماً أصحاب المعلقات نظراً لتمييز لغتهم بالنقاء والسليقة، وهذا ما ذهب إليه ابن سلام سابقاً.

وتأثر القرشي بابن سلام عندما سمى الطبقة الخامسة بـ "طبقة أصحاب المراثي"، واختياره لهذه الطبقة جاء مبنياً على الغرض الشعري وهو الرثاء، في المقابل نجد في الطبقات الأخرى يختار القصائد انطلاقاً من الجانب الفني دون التقيد بالموضوع الشعري، وهذا ما وجدناه عند ابن سلام.

ونجد القرشي قد خص طبقة المذاهب وهي الطبقة الرابعة لشعراء الأوس والخزرج، وهو ما نجده عند ابن سلام في تصنيفه لطبقة شعراء القرى العربية شعراء المدينة بالتحديد يقول: « أصحاب المذاهب: للأوس والخزرج خاصة ⁴¹ ».

ويتفق القرشي مع ابن سلام في أنّ كلاهما اختارا الطبقات المغلقة، فالأول حدّد مضمون الطبقات في سبعة، أمّا الثاني حدّدتها في أربعة.

4 خاتمة:

نصل إلى نهاية البحث الذي كان حول تأثر ابن سلام _ الناقد الفذ _ بغيره وتأثيره في الآخر، هذا الأخير تمكن من تصنيف الشعراء إلى طبقات محدّدة ومنتظمة إلا في بعض الطبقات التي تجاوز فيها النظام المعلن عنه في مقدمة كتابه، كما أنّه أبان اللثام على عدّة قضايا نقدية قيّمة، إذ وضع اللبّات الأولى للنقد الأدبي القديم،

لكن لولا تأثيره بسابقه لما وضع هذا الكتاب، فهو لم يبتدع هذا المنهج ولكنه أول من اعتمده في النقد الأدبي القديم.

نقف عند أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث والتي نوردتها في النقاط التالية:

_ اعتماد ابن سلام على فكرة الطبقات في الموازنة بين الشعراء.

_ تأثر ابن سلام بكل من المحدثين واللغويين والنقاد في المنهج والمقاييس والقضايا التي تعرض لها في كتابه.

_ إن التأثير كان بالدرجة الأولى مع المحدثين، باعتبار أنهم السباقون إلى عملية التدوين والرواية والتوثيق والأخذ برأي الجماعة، إضافة إلى بعض المعايير التي اعتمد عليها ابن سلام في دراسته.

_ تأثيره هو الآخر في غيره من النقاد الذين كتبوا في النقد الأدبي بعده كابن قتيبة والقرشي،

هوامش وإحالات المقال

* هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله الجمعي من البصرة ولد سنة ١٣٩ هـ، أديب وراوي وعالم بأخبار العرب وشعرهم وأيامهم، أخذ العلم عن حمادة بن سلمة ومبارك بن فضالة وغيرهم، وروى عنه أحمد بن حنبل وأبي العباس ثعلب النحوي وغيرهم، فنشأ ابن سلام بين علماء العربية الأوائل من النحاة واللغويين ورواة للشعر والأدب، كما أنه روى عن شيوخ الحديث، وهناك خلاف في روايته للحديث، فتقبل روايته في الشعر أما الحديث فيحذر من روايته له لأنه يقول بالقدر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ج6، ص2540 و2541، والزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، ج6، ص146.

¹ ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار النوادر، الكويت، دط، 2010م، مادة (ط.ب.ق)، ج12، ص78.

² الجوهري إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م، مادة (ط.ب.ق)، ص1512.

³ أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، مادة (ط.ب.ق)، ج1، ص594 و595.

⁴ جهاد المجالي، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب _ حتى نهاية القرن الثالث الهجري _، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص25.

⁵ ينظر: ابن النديم، الفهرست، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، دط، 2009، مج1، ص308.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، مج1، ص312 و313.

⁷ ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، دط، ج1، ص04.

⁸ المصدر نفسه، ص04.

⁹ جهاد المجالي، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب _ حتى نهاية القرن الثالث الهجري _، مرجع سابق، ص31.

¹⁰ المرجع نفسه، ص31 و32.

¹¹ المرجع نفسه، ص35 و36.

¹² الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج4، ص24.

¹³ ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ج1، مصدر سابق، ص52.

¹⁴ ينظر: جهاد المجالي، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب _ حتى نهاية القرن الثالث الهجري _، مرجع سابق، ص42.

¹⁵ المرجع نفسه، ص43.

¹⁶ ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ج1، مصدر سابق، ص07 و08.

¹⁷ النابغة الذبياني، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996، ص54.

- ¹⁸. ينظر: ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ج1، مصدر سابق، ص16.
- ¹⁹. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص12.
- ²⁰. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص14.
- ²¹. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص22.
- ²². المصدر نفسه، ج1، ص65.
- ²³. النابغة الذبياني، الديوان، مصدر سابق، ص105.
- ²⁴. ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ج1، مصدر سابق، ص67.
- ²⁵. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م، ج1، ص197 و198.
- ²⁶. ينظر: الأصمعي، فحوالة الشعراء، تح: ش.توري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1980، ص18.
- ²⁷. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دط، 1958، ج1، ص59.
- ²⁸. المصدر نفسه، ج1، ص59.
- ²⁹. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص157 و158.
- ³⁰. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص74_76.
- ³¹. المصدر نفسه، ج1، ص76.
- ³². المصدر نفسه، ص263.
- ³³. ينظر: مصطفى علي عمر، في النقد الأدبي القديم، دار المعارف، مصر، ط2، 1989، ص80.
- ³⁴. جهاد المجالي، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب _ حتى نهاية القرن الثالث الهجري _، مرجع سابق، ص144.
- ³⁵. ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، مصدر سابق، ص107 وما بعدها.
- ³⁶. ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص796 وما بعدها.
- ³⁷. المصدر نفسه، ص230.
- ³⁸. المصدر نفسه، ج1، ص238.
- * هناك اختلاف بين العلماء حول شخصية هذا الناقد، إذ يرى بعض الباحثين أنه من نقاد القرن الثاني أمثال عبد العزيز عتيق في حين ذهب غيره أمثال جورج زيدان إلى أنه من رجال القرن الثالث، وذهب مصطفى جواد إلى القول أنه من رجال القرن الخامس، فإذا كان القرشي من القرن الثاني فقد سبق ابن سلام، أما إذا كان بعد ذلك فسبقه ابن سلام إلى التأليف.
- ³⁹. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، ص11.
- ⁴⁰. المصدر نفسه، ص97.
- ⁴¹. المصدر نفسه، ص98.

قائمة المراجع:

- 1_ الأصمعي، فحوالة الشعراء، تح: ش.توري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1980.
- 2_ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج4.
- 3_ جهاد المجالي، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب _ حتى نهاية القرن الثالث الهجري _، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.
- 4_ الجوهرى إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م، مادة (ط.ب.ق).
- 5_ ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م، ج1.
- 6_ الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، ج6.
- 7_ أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، ص11.
- 8_ ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، دط، ص1.
- 9_ أبو القاسم الرّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، مادة (ط.ب.ق)، ج1.

- 10_ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دط، 1958، ج1، ج2.
- 12_ ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار التواد، الكويت، دط، 2010م، مادة (ط.ب.ق)، ج12.
- 13_ النَّابغة الذبياني، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996.
- 14_ ابن النديم، الفهرست، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، دط، 2009، مج1.
- 15_ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ج6.